

## تحقيق تاريخي

## عام الفيل وميلاد الرسول

[ مقدمة تحية إلى الدكتور محمد حسين هيكل ماشا ]

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

## عام الفيل

كان الرأي الشائع في الدوائر التاريخية العلمية أن المصادر اليونانية لم تتحدث عن تعرض الأحباش للحجاز ، ولا عن سفر الفيل<sup>(١)</sup> غير أن الباحث الدقيقة التي نشرها المستشرق العلامة تيودور نولدكه عن تاريخ صلات الفرس بالروم<sup>(٢)</sup> . بينت أن المؤرخ بروكوب اليوناني تحدث عن تعرض الأحباش للحجاز

Essai sur l'Histoire des Arabes في Caussin de Percival (١)

، avant l'Isiame ، باريس ١٨٤٧ ، ص ١٤٥

Geschichte der Perser und Ara- في Theodor Noldcke (٢)

، berzur zeit der Sasaniden ، ليدن ١٨٧٩ ، ص ٢٠٠

أشبه بالمقلية البدوية ؟ وهذه المظاهر الفخمة المتطاولة التي ترعم للناس أنها واهبة الحضارة ، ورافعة بنيانها ، ومثبتة أركانها ؟ ألا يمكن أن يكون وراءها روح بدوية غلابة متغلغلة في العقلية الألمانية ، هي التي تهيج لهذا الشعب سبيلها ، وتفرض عليه قوانينها ، وتحدد له غاياتها ؟ وهي التي بمتنته إلى هذا المسلك وإلى نظائره في التاريخ في القريب ، مما نحن في مشاهدته المنكرة ، وآثاره المروعة ؟

لعل ذلك كله جائز مقبول ، وإن الدراسة اللغوية هي — فيما نعتقد — من صميم الدراسات المتعلقة بعلم الإنسان Anthropologie ، ومن خير المقدمات التي تهدي إلى معرفة طبائع الشعوب وخصائص الأجناس . فإذا اطردت هذه الدراسة اللغوية مع نتائج الأبحاث الاجتماعية كان ذلك أقوى لها ، وأجدر أن يخرجها من دائرة الفروض ، ويدنو بها إلى منطقة الحقائق العلمية . فهل لنا أن نذهب ذلك المذهب فيما نحن الآن بصدده ؟

أبرهيهام

بتحريض الروم<sup>(١)</sup> ، ومن ذلك الحين أخذت الدراسات التاريخية وجهة أخرى تبدأ فيها بدراسة الوقائع من وجهة نظر المصادر اليونانية ، وتمحص على أساسها ما ورد في كتب المؤرخين العرب<sup>(٢)</sup> ، وهذه الوجهة التي مال معها المستشرقون صحيحة الأسس ، لأن مؤرخي العرب تأخر بهم العهد نحو ثلاثة قرون من الزمان ، تدرجت فيها وقائع الجاهلية العربية على الأفواه وتنفقت على الألسنة في فترة من الزمان ، حمل في نضاعيه من الأسباب القوية ما يجمله يتناول الواقعات والحوادث التاريخية بتأثيره ، فينسخ من حول مادتها الأقساميص المقومة بروح العصر وهكذا كان أن سلت وقائع الجاهلية العربية لعصر التدوين في القرن الثاني للهجرة ، بمد أن غابت حقائق هذه الوقائع في تيه من الأساطير التي حيكت من حولها والتي غطت على أمرها<sup>(٣)</sup> ، ومن هنا نجد للمصادر اليونانية قيمتها التاريخية ، باعتبارها مصادر معاصرة للوقائع التي جرت ، ومن هنا يمكن اتخاذها محكاً لدراسة الروايات العربية ، واستخراج العناصر التاريخية منها

- يذكر لنا بروكوب أنه في السنة الخامسة من حكم الامبراطور جوستنيان ، أعني حوالي سنة ٥٣٠ ميلادية ، حمل الأحباش على اليمن واستولوا عليها . وهو يصور أسباب هذه الحملة اعتماداً على ما يقدره يوحنا المؤرخ اليوناني فيقول : ان يوسف ذانواس (دومينوس الجيري : عند يوحنا) قبض على بعض التجار من نصارى الروم وقتلهم ، واستمعد نصارى نجران ، وأخذ يقطع السبيل على تجارة اليونان ، فكان نتيجة ذلك أن كسدت التجارة وساءت الحالة الاقتصادية . وقد تضرر من هذه السياسة أقبال اليمن ، فخرجوا تحت لواء أحدم ، وهو « أيدوج » الوثني ، وجرت بينهم وبين ذى نواس معارك وحروب لم يثبت فيها ، وانتهى أمره بأن قتل . وانتهاز الأحباش فرصة محارب اليمنيين فشنوا الغارة على بلاد اليمن تحت قيادة « أبرهة » - الذي كان في الأصل عبداً لأحد تجار الروم النازلين ثمر أدوليس - وفتكوا

(١) Prokop في De Bello Persico ، بن ١٨٣٣ ، ج ١ ص ٢٠ ، ١٠٤ ، ١٠٧

(٢) Leone Ceatani في Anr- li dell'Islam ، ميلانو ١٩٠٥ ،

فترة ١١١ و ١١٧

(٣) I. A. Edham في Islam Tarck ، استانبول ١٩٣٥ ، ج ١

ص ٢٩١ وكذا من مصادر التاريخ الاسلامي ، الاسكندرية ١٩٣٦

فارس من جهة الخليج الفارسي، ولا كان في إمكانهم إرسال حملة من اليمن قاعدتها في بلاد العرب عبر صحرائها للتمرض للنخوم العربية الفارسية، لأن طبيعة تضاريس بلاد العرب، لا تجعل وجهاً لإمكان نجاح مثل هذه الحملة<sup>(١)</sup>. وقد أمكن النجاشي أن يدرك هذه الحقيقة، لإلمامه بالوقف الذي غاب عن الروم وقيصرهم ومن هنا كانت الماطلة دائماً من جانب النجاشي والاعتذار عن إمكان تقديم مساعدة فمالة للروم في صراعهم ضد الفرس<sup>(٢)</sup>. فلما اشتد الصراع وبلغ أقصاه سنة ٥٤٠ ميلادية، وأرسل جوستينيان رسولاً خاصاً (سفيراً) هو جوليان، اضطر النجاشي بحجالة أن يأمر عامله على اليمن، أبرهة، أن يرسل قسماً من قواته شمالاً على زعم التحرك للتمرض للنخوم الفارسية. والطريق الطبيعي الممتد من اليمن إلى حدود فارس يمر بمكة وينتهي عند وادي الرمة أحد روافد الفرات فيما مضى<sup>(٣)</sup>. وبما لا ريب فيه أن الأحباش اتخذوا هذا الطريق مسلحهم نحو الشمال. غير أن القوات التي أرسلوها حين انتهت إلى الحجاز، كان التعب قد نال منها والمرض قد أفتى معظم رجالها، والجدري فتك بجنودها<sup>(٤)</sup> فاضطر الأحباش أن يسحبوا قواتهم ويمتدروا بخسائرهم إلى الروم، ويقفوا عند هذا الحد. غير أن العرب من سكان الحجاز كان قد هلمهم تقدم الأحباش في جيش عرصرم (بالنسبة لهم) ورأوا أنهم يبيتون لهم شراً، فلما أصيبوا بالوباء، ورجعوا، أيقن العرب أن ذلك أثر من تداخل العناية الإلهية التي حفظهم مما كانت الأحباش يبيتونه لهم<sup>(٥)</sup>. وهذا هو المصدر التاريخي الذي حيكت من حوله

(١) البرنس ليون كاتيا في الحوليات الاسلامية، ميلانو ١٩٠٥،

نقرة ١٠٨

(٢) Prokop في De Bello Persico، ج ١ من ٢٠ و ١٠٤ و ١٠٧

(٣) Charles M. Soughty في Travels in Arabian Deserta،

Cambridge 1888، ج ٢ من ٣٢٩ و ٣٢٩ و ٣٢٩

East، لندن ١٩٠٢، من ٦٩، ٧١، ٧٢ و ٧٦

(٤) انظر لنا تاريخ الاسلام من ٢٩٤ وكذا انظر كاتيانا في الحوليات

الاسلامية، ميلانو ١٩٠٥، نقرة ١٠٨ وتاريخ المجلس، بولاق ١٣٠٢

من ١٢، ٢١٦، ٢١٦، وعلى وجه خاص من ٢١٦ سطر ١٩ وكذا ابن دريد

في الاستنطاق من ١٠١ سطر ٣ وابن خلدون طبعة بولاق ج ٢ من ٩١،

٦٢ وتفسير الكشف طبع الهندج ٢ من ١٦٣٢

(٥) تاريخ الاسلام من ٢٩٥

بأيدوج، وأخضعوا اليمن لسلطة نجاشي الحبشة<sup>(١)</sup>

غير أن المصادر العربية تجعل من أيدوج هذا قائداً حبشياً، وتسميه أرباط وأنه باسم النجاشي حارب ذا نواس، وبعد أن نزل عليه حكم اليمن؛ إلا أن «أبرهة الأشرم» أحد قواد الحملة الحبشية ثار عليه ونجح في إزاحته عن السلطة، وتمكن من قتله وبسط نفوذه على اليمن كلها وحكمها باسم النجاشي<sup>(٢)</sup>. ونقطة الاختلاف هذه من الممكن تحقيقها، لكنها لا تقع من غرضنا في هذا البحث، وإنما الذي يهمنا تفديره أن المصادر العربية تماشي المصادر اليونانية في أن اليمن سقطت تحت حكم الأحباش بعد عهد ذي نواس (دومينوس<sup>(٣)</sup>). وبعد أن استولى الأحباش على اليمن واستقروا فيها مدة، حدث أن أرسل الامبراطور جوستينيان سفيراً يدعى جوليان، عرض من قبله على النجاشي فكرة عقد تحالف مع الروم ضد الفرس، ويكون دور الأحباش فيها التمرض للفرس من جهة بلاد العرب الناجمة لجنوب غربي الحدود الفارسية، وذلك لتخفيف الضغط على الروم في صراعهم مع الفرس على نخوم الحدود بين الامبراطوريتين<sup>(٤)</sup>. وهذه السفارة حدثت في حدود سنة ٥٤٠ ميلادية<sup>(٥)</sup>، كما يبين ذلك التاريخ الصادر لليونانية، في وقت كانت الصلات قوية ووثيقة بين النجاشي وامبراطور الروم. وبما لا شك فيه أن جوستينيان اعتمد على هذه الصلات أولاً ووحدة العقيدة الدينية التي تجمعهم بنجاشي الحبشة ثانياً، ليطالب مؤازرة النجاشي له في الحرب التي اشتدت بينه وبين كسرى أنوشروان سنة ٥٤٠ ميلادية<sup>(٦)</sup> ولم تكن فكرة إمكان مساعدة الأحباش للروم في صراعهم ضد الفرس، إلا فكرة خيالية لا يمكن أن تتحقق في عالم الواقع. إذ لم يكن الأحباش أصحاب أسطول بحري ضخم يمكنهم من غزو

(١) Prokop في المرجع السالف الذكر

(٢) حسن ابراهيم حسن في تاريخ الاسلام السياسي، القاهرة ١٩٣٥

ج ١ من ٤٤ واسرائيل ولفسون في تاريخ اليهود في الجاهلية وصدر الاسلام، ص ١١٦

(٣) I. A. Edham في المرجع المذكور سابقاً، ص ٢٩٢

(٤) Th. Noldeke في المرجع السالف الذكر، ص ٢٠٠، ٢٠١

(٥) Leone Ceatani في الكتاب المذكور، نقرة ١٠٨،

الحاشية رقم ١

(٦) الكتاب في الكتاب المذكور له، ص ٢٩٢ وكذلك من ٢٠٠

كل روايات العرب عن سفر النيل<sup>(١)</sup>

\*\*\*

تروي المصادر العربية أن تسبب في تمرض الأحباش لكدة يرجع إلى أن أبرهة الأثرم شيد هيكلًا في صنعاء حاضرة اليمن<sup>(٢)</sup> ، وذلك بغية صرف الناس عن الكعبة . غير أننا نعلم من المصادر المسيحية أنها لم تشر ألبتة إلى مسألة بناء هيكل جديد في صنعاء حاضرة اليمن (العربية السعيدة Arabia Felix) على عهد أبرهة<sup>(٣)</sup> . هذا فضلاً عن أن المؤرخ أوزيب في بحثه عن « تاريخ الكنيسة » ، يتناول بالذكر النصراني من العرب وقساوسهم وأصحاب المآثر منهم على الكنيسة، وهو لا يذكر شيئاً عن أبرهة، وعن تشييد هيكل في صنعاء<sup>(٤)</sup>

غير أننا نعلم أن المسيحية كانت منتشرة في نجران ، وفي بعض المناطق من اليمن ، وأنه كان باليمن قسم من النصراني على عهد حكم الأحباش لها<sup>(٥)</sup> . ولا شك أن هؤلاء القس الذين يرعون شؤون طائفهم الروحية ، كانوا يتخذون لأنفسهم في حاضرة اليمن هيكلًا ، يظهر أنه كان النواة التي حيكت من حولها روايات العرب . هذا ، وربما كان الأحباش وهم نصراني اعتنوا بهذا الهيكل وزينوه بما يليق بمكانتهم كمنصاري حاكين للبلاد ؛ وربما حمل هذا العمل عند بدو الصحراء وعرب الحجاز على محاولة الأحباش أن يجعلوا من هيكلهم نظيراً للكعبة . ولا شك أن هذا الهم لم يكن ليتمكن تصوره ، خصوصاً وأن الأحباش إذا فرض أنهم قاموا بمثل هذه المحاولة لتي ينسبها مؤرخو العرب لهم ، فستكون هذه المحاولة وقفاً على النصراني من للعرب

وهؤلاء بحكم دينهم منصرفون عن الكعبة . فإذا جاز أن نحمل هذه المحاولة على الرغبة في التبشير بالمسيحية بين العرب ، فلا شك أن مثل هذا الحادث الخطير لم يكن ليبر بدون إشارة في كتب تاريخ الكنيسة الشرقية . ومن هنا لا نرى محلاً لقبول ما يقول رواة العرب عن سبب تمرض الأحباش للحجاز<sup>(٦)</sup> .

\*\*\*

إذا صحت استقراءاتنا ونظرتنا للموضوع ، فإن الصلة تكون مفصومة بين تمرض الأحباش للحجاز ومكة ، وبين وجود هيكل للنصارى بصنعاء . على أنه بعد ذلك مما يستوقف النظر، ما نراه من الاتفاق عند مؤرخي العرب في تسمية الحملة الحبشية بسفر النيل ، وذلك على اعتقاد وجود بعض الفيلة في قوات الأحباش<sup>(٧)</sup> . على أن اعتقاد وجود بعض الفيلة في جيش الأحباش باليمن يسوقنا إلى مواقف على جانب كبير من الخطورة ، يحيل معها بعض المؤرخين الأعلام من الغربيين إلى إنكار وجود للفيلة في قوات الأحباش<sup>(٨)</sup> . ذلك لزمعهم أنه لا يمكن تصور إمكان الاحتفاظ بالفيلة في اليمن وتسييرها في صحارى نجران<sup>(٩)</sup> . فضلاً عن أن الفيلة الإفريقية ( التي قد يكون الأحباش جلبوها إلى اليمن إذا صح هذا الاعتقاد ) من الصعوبة ترويضها حتى أن بعض الثقات الأثبات من علماء الحيوان يرون استحالة ذلك<sup>(١٠)</sup> وهذه الاستحالة جعلت المؤرخين يرجحون أن تكون الفيلة التي ورد ذكرها في حروب القرطاجنيين قديماً فيلة مجلوبة من الهند<sup>(١١)</sup> غير أن اقتراض جلب الأحباش فيلتهم من الهند يقف في سبيل قبوله أن الأحباش لم يكونوا على دراية بترويض الفيلة<sup>(١٢)</sup> ،

(١) أنظر لنا — تاريخ الإسلام — استانبول، ١٩٣٥، ص ٣٠٤ و ٣٠٥

(٢) أنظر المصادر الإسلامية والعربية في هذا الباب

(٣) البرنس ليتون كابتاني في الحوليات الإسلامية ، فقرة ١٠٩ هامش رقم ١

(٤) أنظر لنا — تاريخ الإسلام — ١٩٣٥، ص ٣٠٤ وما بعده

(٥) La Vie des Animaux Illustrée في Edmond Perrier

(٦) Voyages anciens et Modernes في Edward Charton

باريس ١٨٦٧، ج ٢، ص ٢٩ وكذا Armandi في Histoire militaire des éléphants ، باريس ١٨٤٣ ، ص ١٢

(٧) ليون كابتاني في الحوليات الإسلامية ، فقرة ١٠٩ وهوامشها .

وبما يحسن الإشارة إليه هنا أن الأحباش استعملوا فيلة هندية في حروبهم أنظر Henry Zule في The book of M. Blo لندن ١٩٠٣، ج ٢، ص ٤٣٤

(١) تاريخ الطبری ج ٢ ص ١١١ وما بعده ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٣ ، ٦١ . وأخبار مكة للأزرقي ص ٨٦ — ١٠٢ وأخبار الأول لابن اسحاق ص ١٩ — ٢١ وسيد أمير على في مختصر تاريخ العرب ، لندن ١١١٩ ص ٤١

(٢) أبو صالح الأرميني في كنائس وبيع مصر وبعض الأنظار المجاورة طبع لندن ١٨٩٥ ، ص ٣٠٠ — ٣٠١ من الترجمة الإنجليزية و ص ١٣٩ اللث العربي

(٣) البرنس ليون كابتاني في الحوليات الإسلامية ، ج ١ فقرة ١٠٨ الهامش رقم ٢

(٤) المرجع السابق ذكره توا

(٥) Die Mission und ausbereitung des christenthums in den Eastern Drei jahrhundert في Adolf Harnack طبعه ليبزغ ١٩٠٢ ، ج ١ ص ٤٧٧ سطر ٢٠

ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم بل لم يعش بعد الإياب سقيمها  
كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق المباد يقيمها  
أما الآيات المنسوبة لأمية فهي :

ومن سنمه يوم فيل الجبو ش إذ كل ما بعثوه رذم  
مجانهم تحت أقرابه وقد شرّموا أنفه فأنخرم  
وقد جعلوا سوطه منوكلا إذا يمونه قفاه ككلم  
فولى وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثم  
فأرسل من فوقهم حاصبا فلغهم مثل لف القزم  
تحض على الصبر أحبارهم وقد تآجوا كشؤاج الغم

ويفهم منها أن الكارثة التي آلت بأصحاب الفيل كانت  
مزدوجة : ربح سموم هبت عليهم ، ووباء نقشى فيهم ، وحمل  
الوباء هند للعرب على الريح السموم<sup>(١)</sup>. على أنه مما يستوقف  
التنظر في هذه الآيات ورود لفظة « الأحبار » في البيت الأخير  
مع أن الأحباش لم يكونوا هوداً ، حتى يصح افتراض اصطحابهم  
لأحبارهم ، والذي عندي أن هذه الآيات مفتعلة في العصر  
الإسلامي .

إذا وضعنا أمام النظر كل هذه التحقيقات بان لنا أولاً :  
أن قصة مسير الأحباش إلى مكة بقصد هدم الكعبة دون غيره  
ليست جاهليّة ، وإنما تعود بأصل إلى الإسلام

ومن هنا نجد أن تمليل تمرض الأحباش للحجاز في طريقهم  
إلى فارس بأن القصد منه محاولة هدم الكعبة وصرف الناس عنها  
ليست إلا أسطورة نشأت بعد أن قام الإسلام وذاع وانتشر  
بين العرب واستقر في الشرق وارتفع شأن مكة وأصبحت للكعبة  
قبلة المسلمين . فعمل الرواة على أن يربطوا بين وجود هيكل النصراني  
في اليمن وبين حملة الأحباش على الحجاز في سبيلهم إلى فارس  
فكان لهم من ذلك قصة محبوكة . وبما لا ريب فيه أننا قد وضعنا  
اليد على مواضع الصنع في هذه القصة التي تروىها الكتب العربية ،  
وكشفنا عن الخطوط التاريخية التي استمد منها التسيج الأول  
الذي حيكت بعده بقية خيوط القصة كما نجى في المصادر العربية .  
وهكذا تميز معنا الجانب التاريخي من الجانب الأسطوري فيها ،

(١) المرجع ذاته ، ج ١ ص ٣١٥ والبرنس كايثاني في الحوليات  
الإسلامية ، ج ١١٢ ص ١١٩

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لأنهم لم يكونوا أصحاب أسطول  
يمخر عباب البحر الهندي ، حتى يمكنهم جلب الفيلة الهندية<sup>(٢)</sup>  
على أن هذه الاعتراضات من الممكن ردها إذا لاحظنا أمرين غابا  
عن هؤلاء الباحثين : الأول أن الأحباش استمانوا بأسطول الروم  
لنقل جيوشهم عبر باب المندب والبحر الأحمر حين شنوا الغارة  
على اليمن<sup>(٣)</sup> . وثانياً أنه كان للروم سفائن حربية وأخرى تجارية  
في البحر الأحمر<sup>(٤)</sup> . وهذا يجعل من الممكن جلب بعض الفيلة من  
الهند بواسطة سفائن الروم وأن يستعين الأحباش ببعض الهنود في  
تسيير هذه الفيلة في حملتهم على فارس . ولاشك أن تعاون  
الروم مع الأحباش أولاً ، والفرس من الحملة وهو مساعدة الروم  
ثانياً يجعل لتفسير تسمية حملة الأحباش بسفر الفيل وجهاً مقبولاً .  
تقدم الأحباش بقواتهم شمالاً ، لكنهم لم يكادوا يقربون مكة  
حتى آلت بهم كارثة أودت بهم . وبعض المراجع العربية ترجح  
أن تكون هذه الكارثة هي نقش الجدرى في جيش الأحباش<sup>(٥)</sup> .

والقرآن الكريم يؤيد كلام المؤرخين العرب  
على أن إشارة القرآن إلى أصحاب الفيل ، تحمل في تضاعيفها  
دلائل قوية على معرفة العرب لقصة سفر الفيل من جهة ،  
وعلى أنها حديثة للعهد بهم ؛ على أن ما قدمه القرآن لنا في سورة  
موجزة توسع فيه رواية العرب وخطوه بالأقاصيص وشحنوا به  
كتب التاريخ والسيرة والأدب . وهنا لك بعض الشعر المزعوم  
قوله في حادثة الفيل ، نجد بعضه منسوباً لابن الزبيري والبعض  
الأخر لأمية بن أبي الصلت . فن المنسوب للأول هذه الآيات :  
وتنكلكوا عن بطن مكة إنها كانت قديماً لا يرام حرعها  
لم تُخلق الثمري ليالي حرمت إذ لا عنبر من الأنام يرومها  
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ولسوف ينبي الجاهلين عليها

(١) ابن جرير الطبري طبعة ي غوييه ج ١ ص ١٢٢ ص ٨

(٢) تولدك في Geschichte der Pesser ، ص ١٨٨ هامش رقم ١

(٣) نفس المرجع

(٤) الطبري ، ج ٢ ص ١١١ وما بعده وسيرة ابن هشام ، ج ٣ ص ٤٣

— ٦١ وأخبار مكة للأزرق ص ٨٦ — ١٠٢ وابن خلدون طبعة بولاق ج ٢

ص ٦١ — ٦٢ والزنجشيري في الكشاف طبعة الهند ، ج ٢ ص ١٦٣٢

والسيرة الحلبية ج ١ ص ٨١ و٨٢ و٨٣ طبعة مصر ١٢٨٠ وتاريخ الخليل

طبع بولاق ، ج ١ ص ٢١٢ — ٢١٦ وطى وجه خاص ٢١٦ ص ١٩

وابن دريد في الاشتقاق ص ١٠١ ص ٣

وانضحت ناحية خفية من نواحي تاريخ العرب في الجاهلية<sup>(١)</sup>

### سفر الرسول

ربط الكثير من مؤرخي العرب ميلاد الرسول (ص) بمقام الفيل ليتخذوا من ذلك دليلاً آخر على نبوة الرسول بأن عناية الله ردت كيد الأعباش عن مكة تكريماً له إذ كانت أمه آمنة في ذلك الحين حاملة به<sup>(٢)</sup>. والواقع أن نبوة الرسول تحمل في ذاتها آيات صدقها ، فهي لا تحتاج لدليل خارجي يدعمها . وحياة الرسول تثبت أنه كان مخلصاً طيلة حياته ، وهذا وحده يرد كل محاولة يراد بها للتشكيك في نبوته<sup>(٣)</sup>

ولما كانت حملة الأعباش التي عرفت بسفر الفيل جرت سنة ٥٤٠ ميلادية<sup>(٤)</sup> كما ثبت من التحقيقات التي كشفنا لك عنها من قبل ، فإن الصلة تبدو مفصومة بين عام للفيل وهي السنة التي كان فيها سفر للفيل وبين ميلاد الرسول (ص) ، فنحن نمرف أن محمداً عليه الصلاة والسلام ولد في حدود سنة ٥٧٠ ميلادية كما حقق ذلك الباحثون<sup>(٥)</sup>. فإذن هنالك نحو ثلاثين سنة تفصل بين عام للفيل وميلاد الرسول . وبعض المؤرخين العرب يثبت هذا ، فمثلاً يقول البغوي : إن سفر للفيل حدث قبل ميلاد الرسول بنحو أربعين سنة<sup>(٦)</sup> ومحمد بن السائب الكلابي ينزل بهذه السنين إلى ثلاث وعشرين سنة<sup>(٧)</sup> . ونلاحظ أن خلفاء أبرهة حكموا اليمن ٣١ سنة<sup>(٨)</sup> وأنه في سنة ٥٧٠ ميلادية ذهبت قوات القدس لتخليص اليمن من الأعباش<sup>(٩)</sup> وهذا يجمل حكم أبرهة الذي أغار على الحجاز حوالي عام ٥٤٠م وهذا ما يؤيده عن طريق غير مباشر بعض المصادر العربية التي تقرر أن الرسول

(١) أنظر أثر ذلك في التاريخ العربي الجاهلي ، في تاريخ الاسلام ، ج ١ ص ٣٩٠ وما بعدها

(٢) الطبري ، ج ١ ص ٩٦٧ - ٩٦٨

(٣) ليون كابتان - الحوليات الاسلامية - المقدمة

(٤) تولدك في تاريخ القدس ، ص ٢٠٥ ، الهامش

(٥) Essai sur l'Histoire des Arabes في Baussin de Percival

ج ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ و se Sacy في Tém de l'Academie مجلد

XLVIII ص ٥٣٠

(٦) ليون كابتان - في الحوليات ، ميلاد الرسول .

(٧) المرجع السابق الذكر توا ، ميلاد الرسول

(٨) تولدك في تاريخ الفرس ، ص ١٢٠ ، هامش رقم ٣

(٩) نفس المرجع .

ولد بعد خمسين سنة من استيلاء الأعباش على اليمن<sup>(١)</sup> وأنهم طردوا بعد عامين من ميلاد الرسول<sup>(٢)</sup>. وهذا كله إن أثبت شيئاً فإنما يثبت أن الصلة مفصومة بين ميلاد الرسول وعام الفيل وأن محمداً ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة تقريباً<sup>(٣)</sup>

ومن المهم أن نقول هنا إن هذه الحقيقة التاريخية برغم وضوحها ورغم ثبوت أن حملة الأعباش على الحجاز كانت في حدود سنة ٥٤٠ ميلادية وأن ميلاد الرسول كان سنة ٥٧٠ ميلادية ، فإننا نجد معظم المشتغلين بالتاريخ الإسلامي يخطئون ، فيجعلون ميلاد الرسول مقروناً بمقام الفيل . وربما كان لبعضهم المذر في هذا الخطأ الجهلهم هذه التحقيقات المروفة في دوائر التاريخ في العالم المتدين ، ولكن ما عذر بعض الأئمة الجامعيين الذين يجد في مصنفاتهم جميع أصول هذه التحقيقات ، وبعد ذلك يخطئون ويقولون إن الرسول ولد في عام الفيل<sup>(٤)</sup> ومهما يكن من شيء فالتاريخ يرفض كل محاولة يراد بها ربط ميلاد الرسول بمقام الفيل كما أن التحقيقات التاريخية تبين أن الصلة مفصومة بين التاريخين بنحو ثلاثين سنة . ونرجو أن يكون في هذا البحث تصحيح لما تجرى به أقلام الباحثين في العالم العربي من أن رسول الله محمد بن عبد الله ولد عام الفيل .

(الاسكندرية)

اسماعيل أحمد أدهم

دكتور في العلوم والفلسفة من موسكو

ودكتوراه غفرية في الآداب من ليننراد وموسكو

(١) البيروني Chron ص ٤ سطر ٢٤

(٢) الأزرق في تاريخ مكة ، ليزينغ ١٨٥٨ ، ص ٩٢ ، ص ٢ وما بعده

(٣) Zietschrift der Deutschen Iorgenlandischen في Sprenger

Gesellschaft ج ١٣ ص ١٣٧ و ١٤٢

(٤) حسن ابراهيم حسن في تاريخ الاسلام العباسي ، ج ١ ، فصل

تعرض الأعباش لليمن ، وحربهم على عرب الحجاز ، وقابله بما يذكره من

مولد الرسول

أهل بيت  
الاستبانت  
كتاب  
الاسلام الصحيح  
مكتبة الرشد ، شارع الفلكي ، الرياض  
بيروت ، المكتبات العربية الحديثة